غرام القطط

علي الجندي
استاذ الأدب العربي
بدار العلوم العليا
في القاهرة

أهدي اليه قط أسود فاحم، وقطة بيضاء ناصعة ! فسمى الذكر « عنترة » وسمى الأنثى « سلوى » وحين بلغا مبالغ القطط، تقدم عنترة فى أدب وخشوع الى سلوى يخطبها لنفسه! فزجرته زجراً عنيفاً !وردته أقبح رد ! فانزوى حزينا كاسف البال ! ولم يعاود الخطبة مرة أخرى ! .

ثم ذهبت سلوى خارج الدور تبحث لها عن زوج ترضاه ، وعادت بعد عشرة أيام بقط أبيض جميل الشكل رائع المنظر له عينان زرقاوان وفروة ناعمة مخططة بالحمرة القانية !

فخاف على قطه الاسود ان يموت كمدا ! وأغضبه تكبر سلوى واعتناقها لنظرية الالوان ! فطردها وزوجها ولم يسمح لها بالاقامة في داره ! وأملى عليه هذا الحادث الغريب هذه الارجوزة :

لاتحسبوا عداوة الألوان مقصورة على بني الانسان
فانها قانون هذا العالم : من ناطق وصادح وباغم
فان شكا أغلالها سود البشر فما عدت أقيادها سود الهرر
فالقطة البيضاء — وهي قطة —
ترى من السود الزواج حطه
فاعجب — كما عجبت — من هذا الشطط
يعم حتى تشتكي منه القطط

***

أحزنني قطي ان اراه يحز في احشائه أساه
عاف الطعام والشراب وانزوى
منطوياً على تباريح الجوى
ودمعه يسيل فوق خده ولحمه يذوب تحت جلده
يرعى النجوم فى السماء ارقا وكيف بالنوم لمن قد عشقا
حتى سرى في جسمه الهزال كأنما أصابه السلال
فلم يعد يهش للضيفان ولا يصد غارة الفيران
وكان من قبل اذا ماصالا حسبته — منتفخاً — رئبالا
عذرته فالقط مستهام ومن دهاه العشق لايلام
وكلنا قد خبر الصبابه وجرب الحب وذاق صابه

***

فرحت للقطة أرجو عطفها على المعنى ! مستغلا ظرفها
قلت لها يازينة الملاح وغرة في أجبهة الصباح
فتنته بطرفك النعسان وقدك المهفهف الفينان
وانفك الأحمر كالعقيق من فوق ثغر سكري الريق
وفروة لامعة لطيفه ناعمة كخمل القطيفة
فكيف ترضين — وأنت سلوى —
ان تصبحي على الحبيب بلوى
ماذنبه حتى تردى خطبته وتضعفى بين الصحاب هيبته
وقد اتى يسوق فى الصداق
ماشئت من « نقد» ومن «أوراق »
وهو أخو البأس المسمى « عنتره»
أخباره مروية مسطرة
و [عبلة] أختك في جمالها
كانت كزهر الروض في خلالها
رقيقة تحنو على الحبيب وان بدا في صبغة الزبيب
هامت به كما رأته هاما ولم تر السواد فيه ذاما
وحسنها منه المواضي والقنا
إن لم يكن أخا جمال أو غنى

واكرم الحسان من تراها
تهوى الفتى الشجاع او يهواها
فهل تربن يا كريمة الحسب
ان الزواج من [ابى المسك] وجب

* * *

فانفجرت غيظا وقالت لا أرى
زواجه ! ولو تملك [الثرى]
ياضيعة الأحساب والانساب
إن حاز خدرى حالك الجلباب
[سلوى] سليلة الاباة الشم يبني عليها اسود كالفحم !
ثكلت نفسي ! وثكلت قومي !
إن بات لي زوجا ولو في الوهم !
وهل علي سيدي ملام والنور لا يصحبه ظلام
إذا دنا الليل من النهار شمر عن ساقيه للفرار
كذلك البياض والسواد ضدان لا يحويها وداد
فقلت : هذا مذهب لئيم أوحى به شيطانك الرجيم
لم يأت فى [السنة والكتاب]
ولا رويناه عن [الاصحاب]
من يا ترى فرق بين الامم ؟
وكلنا [للطين] حين ينتمى !
منزلة الانام عند الله بالدين ، لا باللون أو بالجاه
وخيرهم أنفعهم لخلقه ومن حباه رقة في خلقه
فلتخرجي من بيتنا أو ترجعى
عن ذلك الشرع الوبى المشرع
فأطرقت برأسها تفكر ثم توات وهى غضبي تزأر

* * *

وأقبلت بعد ليال عشر بأبيض يزري بنور البدر
عيناه نجلاوان زرقاوان للغرب لا للشرق تنسبان
وشارباه حكيا الحرابا وذيله قد أشرب العنابا
يمشي الهوينى ثانيا عطفيه منتفخا يجذبها اليه
وهى له تبدى سمات الحب
كأنها حازت [ثري حرب]
وتارة تلج في العتاب وتخلط الدلال بالتصابي
فقلت : من هذا ؟ فقالت : كيف لا
تعرف أبناء الفرانيق العلا ؟ !
أبوه آرى من [الجرمان] وأمه سليلة [اليونان]
للصفر — لا يعزى — ولا للسود
أما تراه أحمر الخدود ؟
رضيته زوجا ! وهل من عار أن تخطب الشموس للاقمار
وقد طرقنا الباب يحدونا الامل
كيما نقضي بينكم [شهر العسل]
فانثر علينا ناضر الريحان وانظم لنا قلائد العقيان
وهنىء الدنيا بنا والدينا وبالرفاه — قل — وبالبنينا

* * *

فقلت : لا متعتما بالعرس وعشتما في نكد وبؤس
إليكما عن منزلي إليكما ! والموت بالمرصاد إن أبيتما
فلست من يحنو على اللئام وليس بيتي [فندق] الغرام
وقمت أهوى بالعصا عليها حتى شفيت النفس من جليها
فخرجا : تبكى بدمع ساجم وهو على الزواج جد نادم !

* * *

ثم تلفت إلى «الفلحاء» [١] ووجهه يطفح بالسراء
فقلت يا «عنترة الفوارس» عوضت عنها صفوة العرائس
عليك بالصبر وبالسلوان فهذه طبائع الغواني
فكم أسرن بالجمال قلبا وكم قتلن بالدلال صبا
ونحن لا نملك عنهن غنى وهن يفعلن الافاعيل بنا
والله في عون المحب الهائم ما دام لا يجنح للمآثم
وأنت ممن نشئوا في التقوى طفلا كريم السرعف النجوى
عما قريب يا أخا الاشواق تظفر بالحسن وبالاخلاق

القاهرة — علي الجندى

---

[١] الفلحاء . اغب عنترة العبسي

المحامي

النسيد حميد الحكيم

يتوكل في الدعاوي داخل العشار وخارجها